

أضواء البيان

@ 265 { وَالَّذِينَ هَارَ } ومنافع الشمس والقمر اللذين سخرهما ﷻ لأهل الأرض لا يحصيها إلا ﷻ كما هو معروف وقال تعالى : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ مَسَ صِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّاعَاتِ } وَالْحَسَبَ { ، وقال تعالى : { وَجَعَلْنَا السَّيْلَ وَالَّذِينَ هَارَ عَائِتِيْنَ فَمَحَوْنَا آيَةَ السَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّاعَاتِ وَالْحَسَبَ { إلى غير ذلك من الآيات المبينة لذلك التسخير لأهل الأرض . وكذلك سخر لأهل الأرض النجوم ليهدوا بها في ظلمات البر والبحر كما قال تعالى : { وَالَّذِينَ جُومَ مَسَخَّرَاتِ بِأَمْرِهِ } وقال تعالى : { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ } وقال : { وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } إلى غير ذلك من الآيات . فهذا هو تسخير ما في السماء لأهل الأرض وخير ما يفسر به القرآن . ومما ويوضح ما ذكرنا أن المخاطبين الأولين بقوله { وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } وهم الصحابة رضي ﷻ عنهم لم يسخر لهم شيء مما في السموات إلا هذا التسخير الذي ذكرنا الذي بينه القرآن العظيم في آيات كثيرة . فلو كان يراد به التسخير المزعوم عن طريق الصواريخ والأقمار الصناعية لدخل فيه المخاطبون الأولون كما هو ظاهر ، وكذلك قوله { وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ } ، فإن معنى مرورهم على ما في السموات من الآيات نظرهم إليها كما بينه تعالى في آيات كثيرة كقوله : { أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا } وقوله : { قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } وقوله : { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَرْضِ فَاقْبِرْ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَزْهَقُ الْحَقِّ } إلى غير ذلك من الآيات . .

واعلم وفقني ﷻ وإياك أن التلاعب بكتاب ﷻ جل وعلا وتفسيره بغير معناه لمحاولة توفيقه مع آراء كفرة الإفرنج ليس فيه شيء البتة من مصلحة الدنيا ولا الآخرة وإنما فيه فساد الدارين ، ونحن إذ نمنع التلاعب بكتاب ﷻ وتفسيره بغير معناه نحض جميع المسلمين على بذل الوسع في تعليم ما ينفعهم من هذه العلوم الدنيوية مع تمسكهم بدينهم ، كما قال تعالى : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ } كما سترى بسطه إن شاء ﷻ في

سورة بني إسرائيل . .

فإن قيل . هذه الآيات التي استدلتتم بها على حفظ السماء من الشياطين واردة في